فى القضاء و القدر

الإنسان
بين الهدى والضلال

أحمد أحمد جاد

المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمي : البيطاش - مدينة الاندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الإسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

المقدمة

إن صلاح الإنسان وفلاحه لا يكون إلا باتباع طريق الهدى الذى رسمه الله تعالى وارتضاه لعباده المؤمنين منذ خلق آدم عليه السلام وابتلاه بالشيطان الرجيم.. والقصة معروفة.. وكان التعقيب الإلهى بأن الله سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل هداية للناس ، فمن اتبع الهدى فلا يضل ولا يشقى ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ طه.

والعجب بعد هذا البيان تجد البعض لا يأتمر بأمره تعالى.. لا يهتدى .. لا يصلى .. وإذا سألته عن ذلك يقول: لما يهدينى ..!! وكأنه يريد أن يجبره الله على طريق الهدى .. يرتكب المعاصى بمحض إرادته واختياره .. ثم يبرر ما

فعله بأن الله أجبره على ذلك .. يقول: لو شاء الله ما فعلته! .

فالموضوع جد خطير، لأنه يتعلق بالقضاء والقدر وهو من مسائل الاعتقاد. ولأن كلام الفلاسفة فيه كثير ومتناقض .. وأن التعليم فى المدارس والجامعات لا يحصن الطالب الذى يدرس شتات الفلسفات التى تحيره وتهلكه.. فينشأ الطالب ولا رصيده له من إيمان ولا يميز بين الخطأ والصواب .. ومن هنا احتاج إلى الفهم الصحيح لعقيدته التى يدين بها لله تعالى.

والإسلام عرض موضوع القضاء والقدر ببساطة وسهولة ويسر، يفهمه الإنسان العادى، كما أن الله تعالى بين طريق الهدى من الضلال ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة: ٢٥٦، وللإنسان بعد ذلك أن يختار .

وقد عرضت موضوع هذا الكتاب: **الإنسان بين الهدى والضلال** .. ببساطة وإيجاز.

وقد جعلته فى فصلين :

الأول : فى الإنسان والابتلاء والاختيار .

والثانى : فى الاحتجاج بالقدر .

وما كتبته صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمنى واستغفر الله ، وأسأل من يقرأه إن وجد خطأ أن ينصحنى ، فالدين النصيحة ، والكمال لله وحده .

والله نسأل أن يتقبله عملا صالحاً فى الميزان يوم القيامة وأن ينفع به . . وأن يعود بالمسلمين كما كانوا أمة واحدة تعبده ولا تشرك به شيئاً .

الاسكندرية

فى ربيع أول ١٤٢٤هـ الفقير إلى الله تعالى

مايو ٢٠٠٣ م **أحمد أحمد جاد**

* * *

الفصل الأول

الإنسان والابتلاء والاختيار

الإنسان مخلوق ليبتلى ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ ﴾ الإنسان .

خلق الله الإنسان وزوده بأدوات المعرفة وبين له طريق الهدى . . ومن سنته تعالى أن يبتليه، فإما أن يشكر وإما أن يكفر .

فالإنسان أمام الابتلاء ، مخير بين طريق الهدى أو طريق الضلال، فالابتلاء بالمصيبة يجعل الإنسان بين أمرين: إما أن يصبر ويحتسب ويدعو الله ويلجأ إليه . . وإما أن يضجر ويسخط ويكفر .

وكذا الابتلاء بالنعم والرخاء والخير ، إما أن يشكر ويستعمل هذه النعمة فى رضاء الله

وطاعته وابتغاء ما عنده .. كما حدثنا القرآن عن سليمان عليه السلام إذ ابتلاه ربه بالنعم والرخاء والملك فقال: ﴿ .. **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ** .. ﴾ النمل/ ٤٠ وإما أن يستخدمها في الظلم والطغيان ونسيان المنعم .. مثل ﴿ .. **قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ** .. ﴾ القصص/ ٧٦ .

وكما قال موسى في حق فرعون ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ يونس/ ٨٨ .

فالإنسان يبتلى في حياته .. كل يوم.. يبتلى بالمصائب والشدائد وبالرخاء والنعم ، يبتلى في ماله ونفسه ، يبتلى بالاختيار بين الخير والشر ، بين الهدى والضلال.. كما أن الإنسان للإنسان فتنة وابتلاء ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ** ﴾ الفرقان/ ٢٠ ، فالمريض يقول لم لم أكن كالصحيح؟ وهكذا كل صاحب آفة ، والصحيح مبتلى

بالمريض فلا يضجر منه ولا يحقره، والغنى مبتلى بالفقير يواسيه، والفقير مبتلى بالغنى يحسده .. ونحو هذا .. وكل ابتلاء يحتاج موقف من الإنسان يتصرف حياله ويتخذ فيه قراره .. إما شاكراً وإما كفوراً .

إما يتخذ طريق الهدى والسعادة .. وإما يتخذ طريق الضلال والشقاء وغضب الله وعذابه .

١ـ مشيئة الله المطلقة وحرية الإنسان :

مشيئة الله المطلقة تعنى أن الله خلق كل شئ وقدره وسبق به علمه وأنه لا يحدث فى الكون شئ إلا بأمره وتقديره .. ومن مشيئته سبحانه أن يكون للإنسان قدر من الحرية للاختيار بين الهدى والضلال ، فإذا اختار طريق الهدى وطاعة الله وابتغاء ما عنده، هداه الله ويسره له وأعانه عليه وكان من الفائزين، أما من كان همه الدنيا وزينتها ، وترك الآخرة والعمل لها ، يسره الله إلى

طريق الغواية والضلال وليس له في الآخرة إلا النار ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ الليل .

وعلى ذلك فلا تعارض بين مشيئة الله المطلقة وإرادة الإنسان المختارة التي هي في حدود مشيئة الله تعالى ، فالإنسان حين يختار الفعل إنما اختاره في حدود ما أراد الله لأن الله تعالى شاء له الحرية في مجال الاختيار بين الهدى والضلال، الخير والشر .. وكل ذلك سبق به علمه سبحانه وقدره .

والقرآن العظيم يثبت إطلاق المشيئة الإلهية ويثبت كذلك حرية الإنسان ويثبت كذلك أن ذلك كله في مشيئة الله المطلقة ، أما الشواهد الدالة على حرية اختيار الإنسان فهي كثيرة .

يقول تعالى ﴿ **من كان يُرِيدُ ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخِرَة** ﴾ النساء / ١٣٤ .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) ﴾ الإسراء .

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٤٥ .

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ آل عمران / ١٥٢ .

وفى الحديث « .. ومن يتصبر يصبره الله .. » البخارى ومسلم.

وفى الحديث القدسى« .. من تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً .. » مسلم .

وهذا القدر من الحرية هو مناط المسئولية والمحاسبة .

قال الشيخ حافظ بن حكمى « وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم،

وهو الذى منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ، وهو لم يكلفهم إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم.. والمقصود أن الله سبحانه فى جميع تصرفاته فى عباده فاعل حقيقة ، والعبد منفعل حقيقة ، فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة.. معارج القبول جـ ٢ : ٣٤٨ وما بعدها .

٢ــ مجال الاختيار المحدود :

إن الله تعالى شاء وقدر أن يكون للإنسان إرادة محدودة ، وأن يتحمل الإنسان مسئولية اختياره ، ومشيئة الله هنا لابد أن تنفذ ، فالإنسان مجبر أن يختار ، لكن عند تنفيذ الاختيار ، له أن يختار الحلال أو الحرام .. فهو لا

يستطيع أن يقول لا اختار لأنه مجبر أن يأكل
لكن عند الفعل ، له أن يأكل ما أحله الله أو ما
حرمه ، له أن يطيع أو يعصى .. أن يسير في
طريق الهدى أو فى الضلال .

وإذا كان للإنسان حرية الاختيارفى العمل
فلا يعنى ذلك أنه يختار ما يشاء ويفعل ما يشاء
لأن مجال الاختيار عند الإنسان هو الاختيار بين
عمل الدنيا والعمل للآخرة، بين فعل المعصية أو
تركها، بين الخير أوالشر ، بين الهدى أوالضلال
بين الكفر أو الإيمان، بين الطاعة أو المعصية .

وهذا كله فى حدود المشيئة المطلقة، لأن الله
شاء أن يكون للإنسان حرية فى هذا المجال .. ومع
ذلك فإن كل أفعال الإنسان من خير أو شر فى
علم الله وتقديره .. لا يعلمها الإنسان ولا يجوز
له التكهن بعلمها .

والإنسان ليس حراً فى كل شئ حرية مطلقة
لأن الله قدر وقضى أجله ورزقه .. ولونه .. وطوله

قصره، وغناه وفقره وصحته ومرضه.. كما أن
لإنسان لا يتدخل فى عمل أجهزته: القلب
الكبد والكلى.. فكل هذا يعمل بدقة فائقة لا
خل للإنسان فيها .. ومن ثم لا يحاسب عليه
. ومن هنا يتضح أن مجال اختيار الإنسان
حدود كما ذكرنا.

٣ـ التوفيق بين المشيئة المطلقة واختيار لإنسان :

للمشيئة المطلقة شواهد كثيرة من القرآن لسنة وللتوفيق بينها وبين اختيار الإنسان يجب ضع آيات اختيار الإنسان بجانب آيات المشيئة طلقة..

يقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ مِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ نزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤ .

فهنا لا يكون الإضلال من الله إلا بعد البيان لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ .وإقامة الحجة على الناس ثم يضل

من اختار طريق الضلال ويهدى من سار فى طريق الهدى.

ويقول تعالى ﴿ وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النحل/ ٩٣، والسؤال هنا والمؤاخذة والعقوبة لا تكون إلا بعد البيان لأن الله سبحانه وتعالى لا يعاقب صاحب عذر لم تبلغه الرسالة والبيان. يقول تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الإسراء/ ١٥، وذلك بعد قوله تعالى ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ .. ﴾ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ التوبة/ ١١٥، وهذا مثل قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ أى بين لهم طريق الهدى ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ فصلت/ ١٧ .

والله لا يهدى إلا من اتبع هداه واختار الإيمان ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

يونس/ ٩ ، ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ التغابن / ١١ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النحل / ١٠٤ ، ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة / ٢٥٨ ، ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٢٦٤ .

وإن الله تعالى يرحم من يشاء ويعذب من يشاء ، يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة / ٤٠ .

وقد شاءت إرادته أن يرحم من يختار طريق الهدى والرشاد والأمر بالمعروف . . وأن يعذب من يختار طريق الكفر والضلال .

فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة / ٢١٨ .

ويقول تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة/ ٧١ .

وإن الله تعالى يضل من سار في الضلال واختاره ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ مريم/ ٧٥ .

وقال تعالى في حق المنافقين المحاربين للمؤمنين ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة/ ١٦ .

والآيات في ذلك كثيرة وإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

وإذا كان الله تعالى خلق الإنسان وجعل له إرادة حرة محدودة يختار بها الهدى أوالضلال فهو كذلك لا يجبره على الإيمان أو الكفر أو الهدى أو الضلال، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس /٩٩ . أي لو شاء الله لآمن

الناس طوعاً أو كرهاً كلهم جميعاً بأمر كوني مطلق صادر منه سبحانه ، ولكنه سبحانه ترك لهم حرية اختيار الإيمان أو الكفر في حدود الإرادة الشخصية لكل إنسان ليكون إيمان من آمن عن اختيار ، وكفر من كفر عن اختيار، فالله سبحانه لم يشأ الإيمان للناس كلهم لكون ذلك مخالفاً للمصلحة التى أرادها ولحكمته البالغة يقول تعالى﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ البقرة/ ٢٥٦ . وعدم الإكراه يرجع إلى أن الله تعالى بين طريق الهدى من الضلال، طريق الرشاد من الغواية ﴿ **قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ البقرة/ ٢٥٦، ولا طريق أمام الإنسان إلا أن يختار أحد الطريقين إما العمل للدنيا فقط وإما العمل للدنيا والآخرة ، إما شاكراً وإما كفوراً .

ولا يزعم أحد أن الله ﴿ شاء الإيمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر ، فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى . . وهذا

من أقبح الاعتقاد وهو قول لا دليل عليه بل هو مخالف للأدلة كما سبق > العقيدة الطحاوية ١٦٧ .

٤ـ المسئولية وحرية الاختيار :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ الاحزاب / ٧٢ .

والأمانة هى المسئولية التى حملها الإنسان ، وهى مناط المحاسبة وتحمل الجزاء ، إن أداها كما أمره الله ، أثابه الجنة وإن ضيعها عاقبه .

فالإنسان رضى بالمسئولية بمحض إرادته عن طواعية واختيار . كما أنه خليفة الله فى أرضه .. يخلفه فى الحكم بين الناس .. بالعدل ، ويطبق منهجه وشريعته .. ومن هنا تكون عظم المسئولية ..

٥ـ أساس الاختيار عند الإنسان :

عرفنا أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان للإيمان والهدى فقط كالملائكة، لذلك

ـم يجمعهم على الهدى بأمر كونى كما رأينا ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الانعام/ ٣٥ .

ولكن الله تعالى جعل للإنسان إرادة محدودة كما رأينا وبين له طريق الخير من الشر وخلق النفس البشرية على استعداد للهدى أو الضلال ، للتقوى أو للفجور ، وجعل الملك يهتف له بالخير والشيطان يهتف له بالشر . . وما على الإنسان إلا أن يختار .

١ ـ الإرادة المحـــدودة : فقد أثبت الخالق للإنسان إرادة محدودة لها مجالها المحدود كما رأينا .

٢ ـ إلهـــام النفس : بالفجور أو التقوى أو استعداد النفس للخير أوالشر، يقول تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾ الشمس ٧ :١٠، .

ويقول تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد/ ١٠ فهذان هاتفان داخل النفس هاتف للخير وهاتف للشر . . وقال ابن مسعود فى تفسيرها : هما سبيل الخير والشر ، وعن ابن عباس قال : الهدى والضلال ، وعن أنس عن النبى ﷺ قال : « هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وفى رواية « . . فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » .

ومن يتأمل فى هذه النصوص يجد أن الله تعالى لم يرجح فى داخلة الإنسان الشر على الخير .

٣ ـ الملك والشيطان : وهما هاتفان للإنسان من خارج النفس ، هاتف الملك الذى يدعوه للخير وينهاه عن الشر ، وهاتف الشيطان الذى يدعوه إلى الشر وينهاه عن الخير ، وفى الحديث : « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة

لملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ البقرة/ ٢٦٨ ، رواه الترمذى ٢٩٨٨ حسن .

وأصل اللمة : المس ، وقال ابن كثير : اللمة الخطرة تقع فى القلب وفى الترمذى : النزول والقرب ، والمراد بها ما يقع فى القلب بواسطة الشيطان أو الملك .

ومن المعلوم أن ليس للملك ولا للشيطان سلطان على الإنسان وإنما هى مجرد خاطرة تدعوه إلى الخير فتكون من الملك وهى من الله أو خاطرة تدعوه إلى الشر وهى من الشيطان وهنا يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . .

٦ــ عوامل مساعدة على الإضلال :

رأينا أساس الاختيار عند الإنسان لكن هناك عوامل تساعدعلى الإضلال منها :

١ ـ الجحود: وهو معرفة الحق وإنكاره وعدم الإيمان .. قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ الانعام/ ٣٣، فإنهم يعرفون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق وإنهم لا يتهمونه بالكذب ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه، بل إن الجحود سبب في طمس أدوات المعرفة، قال تعالى: ﴿ .. **وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** .. ﴾ الأحقاف/ ٢٦.

٢ ـ الاستكبار: وهو الذى يصرف الإنسان عن الهدى وإن كانت الآيات واضحة، يقول تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾ الأعراف/ ١٤٦.

ويقول تعالى : ﴿ .. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة/ ٨٧ .

ويقول تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ الجاثية/ ٣١ .

والمستكبر يفتن قومه ليصدهم عن الهدى .. ويضلهم .. لكى يستعبدهم ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ طه/ ٧٩ ، ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ الزخرف / ٥٤ .

٣ ـ الفتنة : وتكون بصرف الناس عن الحق والهدى بأى طريق ، بالإكراه والتعذيب .. بالترغيب أو الترهيب .. بالغزو الفكرى أو العسكرى أو باستخدام التعليم الذى يصرف عن الحق والدخول فى متاهات وفلسفات لا تفيد الطالب .. أو بتغيير مناهج التعليم من الإسلام إلى العلمانية ..

أو بإقامة أوضاع أو نظم من شأنها صد الناس عن الهدى وحجب نور الله وهدايته عنهم أو من شأنها إضلال الناس وإبعادهم عن منهج الله .. وإشاعة الفساد .. وإباحة الزنا ومقدماته ، وتزيين الكفر والإلحاد .

يقول تعالى : ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ البقرة / ١٩٢ .

ويقول تعالى ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ البقرة / ٢١٧ .

إن الفتنة أكبر وأشد من القتل ، لأن أعظم ما يملك الإنسان في الوجود ويتميز به عن غيره من المخلوقات ، هي حرية الاعتقاد ، ومعرفة الله والسير على منهجه .. والذى يفتنه عن دينه ويصرفه عن منهج الله ، يجرده من إنسانيته فيصبح كالحيوان بل أضل ، ويكون وجوده كعدمه ..

٤ ـ الخوف : يقول تعالى : ﴿ **وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ**

الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ القصص/ ٥٧ .

وهناك وسائل أخرى مثل حب الدنيا وزينتها والأهواء . . ونكتفي بما ذكرناه .

٧ـ عوامل ترجيح الهدى على الضلال :

إن الله تعالى خلق الإنسان ولم يتركه يضل أمام عوامل الإضلال، إنما زوده بما يبصره ويسكن إليه ، فزوده بالفطرة والسمع والبصر والفؤاد والعقل ليميز بين الخير والشر والهدى والضلال، وفوق ذلك أيضاً أرسل الرسل وأنزل الكتب لإخراج الناس من الضلال والظلمات إلى الهدى والنور، وقد تحمل الرسل الكثير من الأذى والتضحيات في سبيل استنقاذ الناس من الضلال وحتى يغيروا من عاداتهم وشركهم ويردوهم إلى الله الواحد الحق القاهر فوق عباده .

١ ـ الفطرة :

الفطرة السليمة تعرف أن الله رب هذا الوجود وهو المالك المتصرف فيه ، والذي يجحده

وينكره فهو مخالف لفطرته بسبب حب الدنيا ونسيان الآخرة .. لكنه فى ساعة الشدة والكرب يعود إلي فطرته ويرجع إلى الله يدعوه .. ثم إذا مضت يعود إلى الإنكار ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ الانعام / ٦٣:٦٤ .

ومن دلائل الفطرة ما جاء فى الحديث : « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » مسلم البر/ ٢٥٥٣ .

وعن وابصة قال : أتيت النبى ﷺ فقال : جئت تسأل عن البر والإثم؟ قلت : نعم، قال : استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك » مسند أحمد : ٤ /٢٢٨ والدارمى : ٢٥٣٣ .

فالإنسان يستريح إذا عمل الخير ، ويقلق إذا

عمل الشر .

قال ابن رجب : وهذا يدل على أن الله تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله، وركز فى الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده.

وفى الحديث « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة » الترمذى ٢٥١٨ حسن صحيح وأحمد : ٦/ ٣٤٧ .

فالصدق يتميز عن الكذب بسكون القلب إليه ومعرفته وبنفوره عن الكذب وإنكاره .

وفى الحديث «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه، يأمره وينهاه» الديملى .

وإن الله فطر الناس على التوحيد ومعرفة أنه لا إله ولا خالق سواه ، وقد أخذ العهد على آدم وذريته بذلك ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف /١٧٢ . .

وفى تفسير ابن كثير : المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد .. وهذا حجة مستقلة عليهم .. فدل على أن الفطرة التى فطروا عليها هى الإقرار بالتوحيد ، ولهذا قال : ﴿ أَن تَقُولُوا ﴾ أى لئلا يقولوا يوم القيامة ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا ﴾ أى التوحيد ﴿ غَافِلِينَ ﴾ .

وفى الحديث : « يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة ، لو أن لك ما فى الأرض من شئ أكنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم : أن لا تشرك بى شيئاً ، فأبيت إلا أن تشرك بى » البخارى : رقاق : ٦٥٥٧ ومسلم : المنافقين : ٢٨٠٥ وأحمد : ٣/١٢٧ صحيح ..

فالفطرة كافية لمعرفة الله الواحد الخالق القهار .. والذى يلحد فى الله ، لا يلحد نقصاً فى المعرفة أو بسبب العجز أو الغموض .. إنما بسبب اتباع الهوى والشهوات واستحباب الدنيا على

الآخرة ..

وإن إبراهيم عليه السلام أنكر بفطرته وجود أصنام آلهة ، تعبد من دون الله .. وحين نظر فى النجوم يبحث عن الله الخالق .. وجدها لا توافق فطرته ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ الصافات٨٨ :٨٩ ، وقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام / ٧٩ .

٢ ـ العقل :

خلق الله الإنسان وزوده بالعقل لكى يتدبر آيات الله الدالة على وجود الصانع فى الكون والإنسان والحياة والنفس والآفاق، ولكى يميز بين الهدى والضلال والخير والشر وما ينفعه ومايضره.

والعقل السليم يدرك أن لهذا الكون رباً واحداً هو الذى صنع وأبدع ، ومن هنا خاطب القرآن العقل وساق الأدلة العقلية الكثيرة على

وجود الصانع الواحد . .
منهـا : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الإسراء / ٤٢: ٤٣ ، ومنهـا قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الانبياء / ٢٢ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون / ٩١ .

وما مهـة الرسـول إلا أن يذكر فقط ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الغاشية / ١٧: ٢١ .

وإن الله لا يفرض على العقـل آيـات تبهره أو تجبره ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ الشعراء/ ٤ ، ولكن يضع أمامه الحقائق

ويبين له طريق الهدى من الضلال ويتركه يختار ﴿ .. **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ الكهف / ٢٩ .

والعقل له أهميته فى الهدى فى هذه الدار ولذلك سيقول الكفار وهم فى النار ﴿ .. **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ الملك / ١٠ .

ومن رحمة الله أنه لا يحاسب مسلوب العقل بجنون أو إكراه ..

٣ ـ الرسالة والرسول :

ومن عظمة الله تعالى أنه لم يترك الإنسان لفطرته فقد تفسد ، أو لعقله فقد يضل أمام الضغوط .. ولأن العقول تتفاوت وتختلف فهى تحتاج من يرشدها .

ومن هنا كانت رحمة الله أن أرسل الرسل بالبيان والحكمة لإرشاد العقول إلى الطريق الصحيح ، فتبين طريق الهدى وتأمر به ، وطريق الضلال وتنهى عنه .

وإذا كان العقل مؤهلاً لمعرفة الله الواحد ،

لكنه لا يبحث فى الغيبات وإلا ضل ، ولا يستطيع العقل بذاته مستقلاً عن الوحى أن يضع منهجاً للحياة فى الاعتقاد والتشريع والعبادات .. وكذلك الفطرة .. توصل إلى معرفة الله ، ثم يأتى الوحى بالمنهج الذى يوافق الفطرة والعقل ..

ولو كان العقل يكفى للهدى ولمنهج حياة الإنسان فى الدنيا ومآله فى الآخرة لوكله إلى عقله ولكن العقل قاصر بذاته عن الوصول للهدى، ولذلك بعث الله الرسل لتكون حجة على الناس ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ النساء/ ١٦٥ ، ومن هنا فلا مسئولية على الإنسان ولا عذاب ولا حجة عليه إلا بعد الرسل ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الإسراء/ ١٥ .

٨ــ أنواع الهداية :

الهداية أنواع : هداية البيان وهداية التوفيق وهداية إلى الجنة .

١ ـ هداية البيـــان: وهى مــا أنزل الله من الكتب هداية للناس ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ آل عمــران: ٣، والفرقان: الفارق بين الهدى والضلال.

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة / ١٥: ١٦.

والرسل هـداة ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ الرعـد / ٧، والقرآن والرسول هدى ﴿ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى/ ٥٢.

فهذه باختصار هداية البيان لأنها تبين الطريق وتسمى هداية الإرشاد أو الدلالة التى ترشد إلى طريق الهدى..

وفى الحديث: « كتاب الله فيه الهدى

والنور ، من استمسك به وأخذ به ، كان على الهدى ، ومن أخطأه ، ضل » مسلم / ٢٤٠٨ وفى رواية : « .. من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة » .

٢ ـ هداية التوفيق :

وبعد استجابة الإنسان لهداية البيان واختياره الهدى ، فإنه يحتاج إلى توفيق الله ومن هنا كان الدعاء فى كل صلاة ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ الفاتحة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ التغابن ١١ ، ﴿ **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ** ﴾ البقرة/ ٢١٣ ، ومنها ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى** ﴾ محمد/ ١٧ .

وهداية التوفيق لا تتحقق إلا إذا كان الإنسان مخلصاً صادقاً فى طلبها ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ العنكبوت/ ٦٩ .

٣ ـ هداية الجنة :

بعد هداية التوفيق لابد من الهداية إلى الجنة

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ الأعراف/ ٤٣ ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ .. ﴾ يونس ٩ / ١٠ ، ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ الحج/ ٢٤ .

❖ ❖ ❖

الفصل الثانى
الاحتجاج بالقدر

سنتكلم فى هذا الفصل عن : معنى القضاء والقدر والإيمان به وأن كل شئ مكتوب مقدر وعلم الله بما سيكون وعلمه بالمهتدين .. ثم نتكلم عن الاحتجاج بالقدر والشبهات حوله .

١ـ معنى القدر :

القدر : القضاء والحكم ومبلغ الشئ .. والقدرية جاحدوا القدر .

قال تعالى : ﴿ .. **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ الفرقان/ ٢ ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ القمر/ ٤٩ .

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وكان عرشه على الماء » مسلم / ٢٦٥٣ .

وفى الحديث « إن أحدكم يُجمع فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع برزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح . . . » الحديث البخارى فى القدر / ٦٥٩٤ .

والمراد بكتابة الرزق تقديره قليلاً أو كثيراً وصفته حلالاً أو حراماً، وبالأجل هل هو طويل أو قصير وبالعمل هو صالح أو فاسد وشقى أو سعيد . أى أن الملك يكتب إحداهما . . فتح البارى: ١١ / ٤٩٢ .

قال السمعانى : سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه . . ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب، ولأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه

نبى مرسل ولا ملك مقرب.

وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها. فتح البارى: ١١/٤٨٦. والتوقيف فى الشرع كالنص.

قال النووى، المراد بالقدر هنا: ما قدره الله تعالى وقضاه وسبق به علمه وإرادته.. كل ذلك مقدر فى الأزل، معلوم لله مراد له.

وقال صاحب العقيدة الطحاوية: وكل شئ يجرى بتقديره ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره. اهـ.

والمعروف أن تقدير الناس للمستقبل يحتمل الصواب والخطأ، لكن تقدير الله لابد أن يكون وفق ما قدره هو وقضاه.

فالقضاء حكم لازم .. لا يحاسب الله عباده على ما قضاه، أما القدر، فقد قدر الله الأشياء

قبل أن تقع وعلم أنها ستكون كذا وكذا . . وقدر أن فلاناً سيختار الهدى أو الضلال . . ولابد أن تأتي أعمال فلان على ما قدره سبحانه وتعالى لأنه مالك الملك، عالم الغيب والشهادة . .

والله تعالى أمر إبليس أن يسجد فاختار عدم السجود . . لذلك قال تعالى : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ** ﴾ الاعراف/ ١٢ ، وهذا أمر اختيارى .

وهناك الأمر الكونى ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ البقرة/ ١١٧، وكذلك قوله ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ النساء/ ٤٧ ، وقال فى شأن عيسى عليه السلام ﴿ **وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾ مريم/ ٢١ .

٢ــ الآجال مضروبة والأرزاق مقسومة :

عن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت « اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله ﷺ ، وبأبى أبى سفيان ، وبأخى معاوية ، فقال النبى ﷺ : « قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق

مقسومة، لن يُعجل شيئاً قبل حلّه أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل » مسلم : ٢٦٦٣ .

فالأرزاق والآجال مقدرة محسوبة لا تتغير عما قدره الله وسبق به علمه في الأزل فلا تزيد ولا تنقص قال تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً** ﴾ آل عمران / ١٤٥ .

وقد علم الله وقدر أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل وهذا بسبب الهدم.. إلى غير ذلك من الأسباب.. والله خلق الموت والحياة وخلق سبب الموت والحياة .

علم ما سيكون :

إن الله تعالى خلق كل شئ .. حتى الذرة التي لا ترى بالعين المجردة ، خلقها وهيأ لها مكانها ودورها في الكون.. ﴿ **وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ وهو

سبحانه يعلم ما سيكون منذ الأزل وعلمه سابق .. وهو سبحانه يعلم كل شئ لا تخفى عليه خافية حتى ما في الصدور ﴿ .. إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑬ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الملك ١٣: ١٤، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس/ ٧٩، والمخلوق لا يعلم إلا ما علمه الله، فقد قالت الملائكة لربها ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ البقرة/ ٣٢ ، ولا يعلم الغيب ملك مقرب ولا رسول إلا بإذن الله ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ㉖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الجن ٢٦/ ٢٧ .

والجن لا يعلمون الغيب ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ/ ١٤ .

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل / ٦٥ .

٣- علم الله بالمهتدين :

إن الله تعالى خلق الإنسان وبين له طريق

الهدى وأمره به وحذره من طريق الضلال .. وهو أعلم بمن سيختارطريق الهدى ومن سيختار طريق الضلال، ولابد أن تقع كما علم وقدر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ الانعام/ ١١٧ .

ويقول تعالى : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ الإسراء/ ٢٥ .

﴿ أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ القصص/ ٨٥ .

﴿ .. أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ الانعام / ٥٣ .

والآيات فى ذلك كثيرة .

وإذا كان الله يعلم منذ الأزل المهتدى الشاكر والضال الكافر ، ويعلم ما فى نفس الإنسان وما سيقع منه .. وأنه سبحانه كتب مقادير كل شئ ومنها ما سيختاره الإنسان ... فلماذا يبتليهم ؟ وما الحكمة ؟ .

إن الله تعالى يبتلى الإنسان لكى يختار

بإرادته الحرة فعل أحد الضدين .. الهدى أو الضلال ... إما أن يعمل للدنيا وإما للآخرة .

يقول تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران / ١٤١ .

ويقول تعالى : ﴿ .. وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران / ١٥٤ ..

فالله يعلم ما فى القلوب قبل الابتلاء والتمحيص ، لكن هذا العلم لابد أن يتحقق فى الواقع العملى باختيار الإنسان وجهده فى العمل .. والابتلاء هنا هو الذى يحقق العمل ويحدد الجزاء .. وبذلك تظهر الحكمة من الابتلاء .. إما شاكراً وإما كفوراً .

يقول تعالى : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ آل عمران / ١٧٩ .

ويقول : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾

الانفال / ٣٧ .

ويقول : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ العنكبوت / ٣ .

٤ـ كل شئ مكتوب :

كل شئ مقدر مكتوب من الأزل حتى قيام الساعة ، فإن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض . . ولو اجتمع الخلق كله على أن يبدلوا ما كتبه الله، لم يقدروا عليه .

وفي الحديث عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف » الترمذي ٢٥١٦ /حسن صحيح .

وفى رواية « .. واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً » أحمد ٢٨٠٤ / صحيح .

٥ـ اللوح المحفوظ والقلم :

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ البروج ٢١ / ٢٢ .

وفى الحديث «إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درّة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه من نور، وكتابه نور، لله فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق، ويميت ويحى، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء» الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس . الجامع الصغير / ١٧٣٧ .

وفى الحديث «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة. .» أبو داوود : السنة: ٤٧٠٠ .

وفى الحديث قال سراقة: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال: لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، قال ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» أو «كل عامل ميسر لعمله»

مسلم: قدر: ٢٦٤٨.

وفى رواية «كل ميسر لما خلق له» مسلم وفى البخارى نحوه.

وكتاب الله وقلمه من غيبه وعلمه الذى يلزمنا الإيمان به ولا يلزمنا معرفة صفته .. وهذا من اختصاص الله تعالى .. ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء.

٦ـ وجوب العمل بما أمر الله:

فى الحديث السابق قال ﷺ «اعملوا فكل ميسر ..» وفى رواية «كل عامل ميسر لما خلق له».

وفى رواية « ثم قرأ . . . **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾** » مسلم : ٢٦٤٧ والبخارى : ٦٦٠٥ .

وفى حديث الطبرانى عن سراقة : فقال يا رسول الله ففيم العمل؟ قال : كل ميسر لعمله، قال : الآن الجد الجد » وفى آخر حديث عمر عند الفريانى « فقال عمر ففيم العمل إذاً ؟ قال : كل لا ينال إلا بالعمل ، قال عمر : إذا نجتهد » .

قال فى فتح البارى : فى الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد فى عمل ما أمر به فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالبا وإن كان بعضهم يختم له بغير ذلك .

والإنسان لا يعلم ما فى الكتاب . . فعليه إذاً أن يبذل جهده ويجاهد نفسه فى عمل الطاعة لا يترك وكولا إلى ما يؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة . . فتح ١١/٥٠١

أى أن النبى ﷺ منعــهـم عن ترك العــمل وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية وزجرهم عن التصرف فى الأمور الغيبية . . فتح ١١/٥٠٦ .

وفى الحديث : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» مسلم، وفى رواية «لو أنى فعلت كذا وكذا . .» ابن ماجة فى المقدمة .

قال النووى : المراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة فى أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو فى الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً فى طلبه وأشد عزيمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الأذى فى كل ذلك واحتمال المشاق فى ذات الله

تعـالى، وأرغب في الصـلاة والصـوم والأذكـار وسائر العبـادات، وأنشط طلباً لهـا ومحـافظة عليهـا، ويكون حريصاً على ما ينفعه من طاعة الله والرغبة فيما عنده .. ولا يعجز ولا يكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

٧ـ العمل أساس الجزاء :

إن الله أمر عبـاده بالإيمان والعمل الصـالح ووعدهم نعيم الدنيـا والآخرة قال تعـالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل / ٩٧ .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴾ النحل / ٣٠: ٣١ .

ويقـول تعـالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ

ذي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ هود / ٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء / ١٤ .

فالإنسان له حرية الاختيار بين الطاعة ونعيم الدنيا والآخرة وبين المعصية وعذاب الدنيا والآخرة .. وسيحاسب كل إنسان على أساس عمله .فإن الله تعالى رتب الجزاء على العمل، فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر ، فقد رتب فضله وزيادة كرمه على من شكره أى عمل شكراً فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم / ٧ .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .. ﴾ الأنفال / ٢٩ .

ومن هنا كان اختيار الإنسان للعمل .. وعلى

أساس عمله يكون الجزاء ، ولا يظلم ربك أحداً ﴿ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يس / ٥٤ .

٨ـ الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر ركن من أركان العقيدة . . ولا يتم الإيمان إلابه ففى الحديث « . . وتؤمن بالقدر خيره وشره » جزء من حديث البخارى ٥٠ ومسلم ٨ .

وفى الحديث « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه ، عذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر . . » أبو داوود/ ٤٦٩٩ .

وفى رواية لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه » الترمذى .

فالمؤمن يلزمه الإيمان بالقدر خيره وشره ، وأن جميع الأفعال خيرها وشرها ، نفعها وضرها تجرى

بقـدر الله ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ الأنبياء:٢٣ .

ومن الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذى لم يفرط فيه من شئ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ الانعام/ ٣٨، ﴿ فِى كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلا يَنسَى ﴾ طه/ ٥٢، ﴿ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام/ ٥٩ .

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان لا ييأس عند المصيبة ولا يحزن على ما فاته ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ الحديد/ ٢٢ .

٩ـ هل يجوز الاحتجاج بالقدر ؟ :

لا يجوز لمن ارتكب المعصية أن يقول: هى من قدر الله ، والله كتبها وقدرها فلا يمكن الفرار منها . . لا يجوز الاحتجاج بالقدر والاعتذار به .

ولا يجوز لمن لا يصلى أن يقول : لما

يهدينى .. !!

فالحقيقة أن هذه المقولة ليست إلا لتبرير الذنب كما ادعى إبليس حين أمره الله تعالى بالسجود فلم يسجد واحتج بالقدر وادعى أن الله هو الذى أغواه ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) ﴾ الحجر ٣٩ / ٤٠ .

< فالذى يحتج بالقدر ويعتذر به، لا حجة له، لأنه خالف أمر ربه وأمر رسوله ولأن الله تعالى قد أنذره وأعذر إليه وأزال عذره .. ولو كان معذوراً عند الله لما عاقبه الله، فإن الله عز وجل أرحم وأغنى وأعدل من أن يعاقب صاحب عــــذر .. ومن أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب إزالة لأعذار خلقه، لئلا يكون لهم عليه حجة .

إنما المعذور من لم تبلغه الدعوة ومن فى حكمه ممن لا يعقل .. فلا عذر ألبتة فى معصية

الله ومخالفة أمره مع علمه بذلك وتمكنه من الفعل والترك، ولو كان له عذر لما استحق العقوبة واللوم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

فالاعتذار بالقدر غير مقبول، بل إن هذا الاعتذار يزيد فى الذنب، لأنه بذلك يبرئ نفسه من الجريمة، وهذا ظلم وجهل، والإنسان كما قال الرب عز وجل: ﴿ **كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾ الاحزاب/ ٧٢ ، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ العاديات/ ٦ ، ..فهذا كالذى منع الماء عن نفسه ثم يستغيث، العطش العطش، فمثل هذا كمن أخذ بحجزته عن النار وهو يدفعه ويغلبه ويقتحمها، فهو الذى أورد نفسه المهالك.

وكمثل من يحتج على ربه بما لا يقبله من ولده وامرأته وخادمه إذا احتجوا به فى بعض أمره، فلو أمر أحدهم بأمر ففرط فيه أو نهاه عن شئ فارتكبه، وقال القدر ساقنى إلى ذلك لما قبل منه هذا ولبادر إلى عقوبته >.

ويقول ابن القيم: "فإن كان القدر حجة لك أيها الظالم الجاهل فى ترك حق ربك، فهلا كان حجة لمن تحت يدك فى ترك بعض حقك؟ بل إذا أساء إليك مسيئ وجنى عليك جان، واحتج بالقدر، لاشتد غضبك عليه وتعاظم جرمه عندك.. ثم تحتج على ربك به وتراه عذراً لنفسك؟ .

ولو كان الاعتذار بالقدر يجوز لدخل فى هذا عذر عباد الأصنام والأوثان وقتلة الأنبياء وفرعون وهامان وأبوجهل وأصحابه وإبليس وجنوده وكل كافر وظالم ومتعد حدود الله ومنتهك محارم الله، فإنهم كلهم تحت القدر .

ولو استسلم العبد لقدرالجوع والمرض مع قدرته بدفعه بقدر الأكل والتداوى حتى مات، مات عاصياً .

فقد سئل رسول الله ﷺ «أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقى بها هل

ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله»
الترمذي في القدر ٢١٤٨ وأحمد ٣٠ / ٤٢١ وغيرهما .

وإذا طرق العدو من الكفار بلاد المسلمين طرقوه بقدر الله، أفيحل للمسلمين الاستسلام لقدر الله وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذى أمروا به.. يدفعون قدر الله بقدره؟ .

ولا تتم مصالح العباد إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض، والله تعالى أمر أن تدفع السيئة التى هى من قدره بالحسنة وهى من قدره .

فهذا شأن الأقدار ، لا الاستسلام لها وترك الحركة والحيلة، فإنه عجز والله تعالى يلوم على العجز.

ليس للإنسان إذن أن يحتج بالقدر عند ارتكاب المعصية ، لأنه لا يعلم عند وقوع الفعل ماذا كتب الله عليه .. فإذا ادعى ذلك فقد كذب وتأول مالم يعلم ...

وقد أتى سارق إلى عمر بن الخطاب فسأله

عمر ، ما الذى حملك على السرقة ؟ فقال الرجل : قدر الله ، فأمر عمر بقطع يده وجلده ، فقال الرجل ، أما قطع اليد فحد السرقة ،، فما بال الجلد ؟ فقال عمر : لأنك كذبت على الله ..

فعمر سأله عن الدافع له على السرقة لئلا يكون صاحب عذر فيسقط عنه الحد ، لكن الرجل احتج بالقدر الذى هو غيب لا يعلمه إلا الله ..

وفى رواية ، قال الرجل : سرقت بقدر الله ، فقال عمر : وأنا أقطع يدك بقدر الله .

١٠ـ شبهة مردودة :

بعض الناس يحتج بالقدر مستنداً إلى حديث حجاج آدم وموسى عليهما السلام والذى فيه يقول النبى ﷺ « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسي : أنت آدم الذى خلقك الله بيده، ونفخ

فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنتــه، ثم أهبطت الناس بخطيـئـتك إلى الأرض؟ فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ طه/ ١٢١، قال: نعم، قال: أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ «فحج آدم موسى» مسلم: قدر: ٢٦٥٢/١٥.

لكن هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به فى القدر لأن هناك فرق بين الاحتجاج بالقدر فى الإثبات والإيمان به وبين الاحتجاج به لتبرير الذنب.

ففى العقيدة الطحاوية قال: شهد النبى ﷺ أن آدم حج موسى أى غلب عليه بالحجة..

والصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب وهو كان أعلم بربه وذنبه.. وموسى كان أعلم بأبيه وذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التى أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة فإن القدر يحتج به عند المصائب لا المعايب ... فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له ، فإنه من تمام الرضا بالله رباً، أما الذنب فليس للعبد أن يذنب وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب فيتوب على المعائب ويصبر على المصائب ... العقيدة الطحاوية/ ٧٢ .

ويقول ابن القيم: للقدر مقامان :

مقام الإيمان والهدى والنجاة، مقام إثبات القدر والإيمان به وإسناد جميع الكائنات إلى مشيئة ربها وبارئها وفاطرها، وأن ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، ومالم يشأ لم يكن وإن شاء الناس

وهذه الآثار كلها تحقق هذا المقام وتبين أن من لم يؤمن بالقدر فقد انسلخ من التوحيد ولبس جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه وهذا في كل كتاب أنزله الله على رسله .

وأما المقام الثاني :

وهو مقام الضلال والردى والهلاك فهو الاحتجاج به على الذنب . . وحمل العبد ذنبه على ربه، وتنزيه نفسه الظالمة الأمارة بالسوء وجعل أرحم الراحمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأغنى الأغنياء، أضر على العباد من إبليس كما صرح بعضهم .

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء

وإبليس أول من احتج على الله بالقدر فقال ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الحجر/ ٣٩ . ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم .

فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه

أباه ومن أشبـه أباه فـمـا ظلم ، ومن برأ نفسـه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس اللعين .
طريق الهجرتين/ ٨٣ ، وما بعدها بتصرف .

١١ــ شبهة أخرى :

سيدعى المشركون بأنهم أشركوا وحرموا ما أحله الله، لأن الله أراد هذا منهم وشاءه، ولو كان الله لا يريد منهم الضلال والشرك لمنعهم بقدرته التي لا يعجزها شئ . .

﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ الأنعام/ ١٤٨، وقد واجههم القرآن بأن هذا من كذبهم كما كذب الذين من قبلهم، ومصير المكذبين عذاب الله وبأسه ﴿ **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا** ﴾ .

ذلك لأن الله أمرهم بالهدى والخير والصلاح ونهاهم عن الضلال . . وهذا معلوم لهم علم يقين لا شك فيه، فأما مشيئة الله التى أحالوا عليها

شركهم.. فهى غيب ، فكيف يستندون إلى غيب ووهم؟

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ الانعام / ١٤٨، فكيف يتركون العلم القطعى إلى الحدس والخرص الظنى.. إن مشيئة الله غيب ، والله لا يكلف الناس أن يبحثوا فى الغيب ، إنما يكلفهم بما يعلمون من أمره ونهيه .

نعم، إن الله قادر على أن يخلق الناس بطبيعة لا تعرف إلا الهدى أو يقهرهم على الهدى ، ولكنه شاء غير هذا ، شاء أن يبتلى عباده بالقدرة على اختيار الهدى أو الضلال ليعين من يتجه منهم إلى الهدى على الهدى، وليمد من يتجه منهم إلى الضلال فى غيه وعمايته .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأنعام/ ١٤٩ .

لقد جاء هذا الدين ليحقق واقعاً عملياً تحدده أوامر ونواه واضحة لا لبس فيها، أما الإحالة إلى

المشيئة الغيبية فدخول فى المتاهات يرتادها العقل بغير دليل .. ومضيعة للجهد الذى ينبغى أن ينفق فى العمل الإيجابى الواقعى المشهود .. من الظلال / ١٢٢٦ بتصرف .

فهؤلاء لا يتبعون علماً أنما يتبعون الوهم والكذب وهم أشركوا وعبدوا غير الله وحرموا ما أحله الله مخالفين بذلك أمره ونهيه سبحانه .. ولله الحجة البالغة التى تبطل مزاعمهم وشبهتهم .. لأنه تعالى أرسل الرسل حجة على الناس .

قال ابن كثير : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهى حجة داحضة باطلة ولو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه .

وقال الضحاك : لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة على عباده أ.هـ

هذا وقد ذم الله إبليس حيث أضاف الإغواء إلى الله تعالى كما رأينا .

المسارعة إلى العمل قبل الندم :

إن الله أرسل الرسل حجة على الناس . .وإن الله أمر الناس أن يسارعوا إلى التوبة قبل حلول الأجل . . وقبل الندم يوم لا ينفع الندم . . وقبل تمنى الرجوع إلى الدنيا للعمل . .ولا رجوع . . ولا ينفع الإنسان يومئذٍ أن يقول : لو أن الله هدانى . . لأنه قد جاءت الآيات فلم يؤمن .

واقرأ معى هذه الآيات الحجة البالغة . . ونسأل الله من فضله حسن الخاتمة ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) ﴾ الزمر ٥٤ / ٥٩ .

والله المستعان ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف ،

الموضوع	الفهرس	الصفحة

الفصل الثانى
الاحتجاج بالقدر

رقم الإيداع : ١٦٨٧٤ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-5339-774

كتب للمؤلف

١ـ مختصر مدارج السالكين .	دار الدعـــوة
٢ـ منهج القرآن فى التثبت من الأخبار	دار الدعـــوة
٣ـ البذل والتضحية فى سبيل الله .	دار الدعـــوة
٤ـ الشفاعة .	دار الدعـــوة
٥ـ الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار ابن لقمان
٦ـ آداب غض البصر .	دار المـــدائـــن
٧ـ آداب الاستئذان .	دار المـــدائـــن
٨ـ بر الوالدين والأقارب جـ ١ .	دار المـــدائـــن
٩ـ بر الوالدين والأقارب جـ ٢ .	دار المـــدائـــن
١٠ـ مختصر الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار المـــدائـــن
١١ـ الاختلاط بين الطلبة والطالبات .	دار المـــدائـــن
١٢ـ الحياء من مكارم الأخلاق .	دار المـــدائـــن
١٣ـ الصبر والثبات على الطريق .	دار المـــدائـــن
١٤ـ احترام الكبير ورعاية المسنين .	دار المـــدائـــن
١٥ـ نصرة المظلوم .	دار المـــدائـــن
١٦ـ آداب المعاملات الإسلامية .	دار المـــدائـــن
١٧ـ الإنسان بين الهدى والإضلال .	دار المـــدائـــن
١٨ـ نظرية التثبت فى الإسلام . .	دار الدعـــوة